**المحور 02: المدرسة الألمانية**

**خصائص الفلسفة الألمانية:**

تتميز الفلسفة الألمانية بشكل عام بأنها فلسفة نقدية، ورغم ارتباطها الجدلي بالفلسفة الانجليزية والفرنسية خاصة، إلا أنها استطاعت أن تشكل أنموذجها الخاص شيئا فشيئا من خلال نقد الفلاسفة الألمان لبعضهم البعض، ومن خلال الجدل بينهم في سياق الثقافة الألمانية، ويمكن أن نلاحظ هذه الحركة ابتداء من كانط الذي انتقد التيارين العقلي الديكارتي الفرنسي والتجريبي الانجليزي، واستخلص من ذلك فلسفة نقدية تركيبية، وضمن هذه الفلسفة تأسست المثالية الألمانية نقديا أيضا عن طريق فيخته وشلنغ وشوبنهاور وهيغل، كما تأسست الكانطية الجديدة التي بلغت ذروتها عند هابرماس، وتأسست الهرمينوطيقا مع شلايرماخر ودلتاي وغادامير، وبلغ نقد الفكر اللاهوتي مع كيركيجورد وشلايرماخر أوجه، و تم نقد مفهوم الوجود والميتافيزيقا مع هيدغر، والفكر السياسي مع هابرماس وحنة أرنت، وقوضت القيم والأخلاق مع نيتشه...ويحق لنا بهذا أن نؤكد الطابع النقدي وكذلك الجدلي للفلسفة الألمانية الذي يظهر في تطوير المنطق الجدلي مع هيغل وماركس وفيخته وشلايرماخر ودلتاي وغيرهم.

لكن الفلسفة الألمانية المعاصرة تتميز أيضا بتأكيدها لتاريخية الإنسان وارتباطه بالزمن والظروف مع دلتاي ونيتشه وهيدجر، فعلماء التاريخ الألمان، بحسب غادامير، قد حاولوا تخليص التاريخ من كل دوغمائية سواء كانت فكرة فلسفية أو روح العصر القديم أو حتى الضرورة التاريخية، وبقدر ما يتضمن مجرى التاريخ فكرة الضرورة التاريخية فإنه يتضمن أيضا فكرة الحرية الإنسانية التي تغير التاريخ، والتي لا تقوم بها إلا " العقول الأصيلة التي تتدخل بطريقة مستقلة في معركة أفكار وقوى العالم."

ساهمت الفلسفة الرومانسية الألمانية مع فريديش شليغل ونوفاليس في تأكيد نسبية الحقائق الفلسفية، وأنها ليست أكثر من آراء تتغير مع الزمن، يقول شليغل ردا على من يعترض على الحقيقة النسبية: " إذا كانت الحقيقة كلها نسبية، فقضية أن الحقيقة كلها نسبية، هي أيضا نسبية

حرصت الفلسفة الألمانية أيضا على تمييز الأنموذج الابستمولوجي في معرفة الإنسان عن الأنموذج المعرفي المطبق على الظواهر الطبيعية، فمع دلتاي وفيندلبند العلوم الطبيعية تهدف إلى البحث عن القوانين العامة، بينما تهدف العلوم الإنسانية والتاريخية إلى وصف التجربة الفردية المعيشة. لقد " سعى فيندلبند من وراء هذا التمييز إلى التخلص من ثقافة تخضع لعبودية العلوم الطبيعية" ففي تلك الفلسفة الإنسان هو دائما أكثر من كونه شيئا ماديا أو عقلا مجردا، انه كائن حر ومتعدد الأبعاد.

والحقيقة أن الفلسفة الألمانية خصبة في اتجاهاتها المعاصرة، ويعود لها الفضل في التأسيس لأهم التأويلات الفلسفية المعاصرة، فقد أسست للنقدية المعاصرة في مدرسة فرانكفورت مع تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر، والوجودية مع كيركيجورد وهيدجر والوضعية المنطقية مع كارناب وريشنباخ والهرمينوطيقا الفلسفية مع شلايرماخر ودلتاي والظواهرية أو الفينومينولوجيا مع هوسرل.

1. **فلهلم دلتاي: .Wilhelm.Delthey ( 1833-1911 )**
   1. **حياته ومرجعياته الفلسفية و الفكرية:**

* **حياته الفكرية ومؤلفاته:**

هو فيلسوف ألماني وعالم نفس واجتماع ومؤرخ مبرز، ولد ببيرج بالقرب من مانتز، وهو ابن لرجل دين، لذلك انصرف في بداية حياته إلى دراسة اللاهوت بهيربرغ، ثم بيبري، لكنه سرعان ما امتد اهتمامه إلى مجالات أخرى، حيث درس الفلسفة والتاريخ والبحث في أصول المسيحية، كما اهتم بالأدب والموسيقى وعلم النفس.

حصل على الدكتوراه عام 1804 بعمل عنوانه: " مبادئ الأخلاق لدى شلايرماخر "، وعين اثر ذلك للتدريس بجامعة بازل سنة 1866، ثم انتقل إلى جامعة كيل، ثم جامعة برسلو سنة 1882 حيث خلف " لوتشه " في كرسي الفلسفة بجامعة برلين إلى أن توفي في 01 أكتوبر 1911.

من أهم مؤلفاته: " نظرية تصورات العالم "، " عالم الروح " ، " مقدمة في دراسة العلوم الإنسانية"، " تطور الهرمينوطيقا الفلسفية"، " نقد العقل التاريخي"، ويشير عبد الرحمان بدوي في موسوعته الفلسفية إلى أن مؤلفات دلتاي قد جمعت " في نشرة كاملة في 12 مجلدا طبعت في برلين بين سنة 1913و 1936 ما عدا المجلد العاشر، فإنه لم يطبع إلا في الطبعة الثانية لمجموع مؤلفاته، وقد تمت هذه الطبعة الثانية في شتوتجرت وجيتنجن من سنة 1957 إلى سنة 1960.

* **مرجعياته الفلسفية والفكرية:**

عندما نبحث عن الأسس والمصادر الفلسفية والفكرية التي شكلت فلسفة دلتاي، فإننا نجد مصادر مختلفة، وهي:

**الفلسفة** **التجريبية**: حيث تأثر دلتاي بالنزعة التجريبية العلمية سواء الانجليزية مع دفيد هيوم وج.س. مل وثورندايك في الفلسفة وعلم النفس، أو الألمانية مع فيخنر الذي أسس لأول مختبر في علم النفس. لقد أصبح يرى الفلسفة هي دراسة تجريبية للعقل، وتحليلا للقوى والقوانين الاجتماعية على أساس معطيات علم النفس، وكما أن الرياضيات هي أساس العلوم الطبيعية، فعلم النفس هو أساس العلوم الإنسانية. لكن دلتاي يختلف عن النزعة التجريبية في أنه يربط الأفعال الإنسانية بطبيعة الإنسان ككل، بينما تذهب تلك النزعة إلى ربطها بالإدراك أو العقل فقط.

**الحركة الرومانسية**: الحركة الرومانسية هي حركة أدبية وفلسفية وفنية رفضت اختزال الإنسان في العقل أو المادة، وأكدت على جانبه النفسي الانفعالي والعاطفي، واستخدمت الحدس والتعاطف مع الغير كسبيل للمعرفة، وأن الغاية الأساسية من الحياة والثقافة هي نمو الحرية والفردية وقدرة الذات على التغير. وأن الإنسان ليس عقلا فقط، بل وحدة من الأحاسيس والانفعالات والقوى العقلية، وهذه السمات تجلت أكثر في تأويل دلتاي للتجربة الإنسانية، من حيث هي تجربة معيشة تحتاج إلى الفهم والحدس وليس إلى التفسير العلمي، لذلك فإن فكرة الفصل بين ثنائية الفهم والتفسير هي ثنائية استمدها من الرومانسية، ومن أجل فهم النص يؤكد دلتاي على غرار شلايرماخر أن القارئ يجب أن يكون فنانا ذو حدس فني، يفهم مقصد كاتب النص كما يفهمه صاحبه، أو فهمه أكثر مما يفهمه هو نفسه.

**فلسفة كانط النقدية**: تأثر دلتاي أيضا بفلسفة كانط النقدية، باعتبارها تفتح المجال إلى نقد المعرفة، وتعطي أهمية للعقل والتجربة معا في حل مشكلات المعرفة وتوضح حدودهما، وكتابه " نقد العقل التاريخي" يحاكي أن صح التعبير كتابي كانط الأساسيين وهما: " نقد العقل النظري " " ونقد العقل العملي " لكنه على عكس كانط وتلاميذه، لم يعترف بالوجود القبلي لمبادئ العقل ومقولاته، ورد كل الأنساق الفكرية إلى التجربة، وبالتالي لم يعترف بوجود ذات ترانسندنتالية أو متعالية، وإذا كان كانط قد طبق النقد على العقل المحض أو النظري والعقل العملي، فقد طبق دلتاي النقد على التاريخ.

**المدرسة التاريخية:** تتلمذ دلتاي على أقطاب المدرسة التاريخية ، وتعلم أن الإنسان كائن تاريخي، وبالتالي فالحياة العقلية الإنسانية نسبية، ومرتبطة بظروفها وشروطها التاريخية، وهذا ما يفسر رفضه للأنظمة الشمولية التي تخضع التاريخ لأنساق مطلقة سواء كانت فلسفية كفلسفة هيغل في التاريخ أو علمية. وما حمله على ذلك هو "روح المرحلة الكلاسيكية والرومانسية الألمانية جنبا إلى جنب مع نقاط البداية الخاصة بها، أبقته دائما ضمن التقليد التاريخي والفيلولوجي العظيم، تراث الباحثين الكبار المؤرخين بشكل خاص، وهم رانكه Rink ، نيبوهر Niebuhr، بويكBoeck ، صافيني Savigny، قريم Grimm، وبوبBopp ".

**النزعة الحيوية**: تأثر دلتاي بالنزعة الحيوية في الفلسفة، وبمفهوم الحياة كأساس للتجربة الإنسانية التي تخضع للنمو والتطور وتعبر عن نفسها في تعبيرات حيوية عقلية وطبيعية وانفعالية، وبالتالي فالفلسفة ما هي إلا تعبير عن تجربة الإنسان الحيوية المعيشة الكلية في نموها وتطورها.

**الهرمينوطيقا الفلسفية**: تأثر دلتاي أيضا بالهرمينوطيقا الفلسفية خاصة عند شلايرماخر وبمنهجه التأويلي للنصوص، لاسيما فيما يخص البحث عن مقصد الكاتب، وإعطاء أولوية لعلم النفس في فهم التجربة الإنسانية، وقد نقل ذلك المنهج إلى مجال العلوم الإنسانية.

**إستنتاج**: **يتبين من التحليل السابق أن هناك عوامل ثقافية وفلسفية وعلمية كثيرة شكلت مرجعية دلتاي الفلسفية، والتي أثرت لا محالة على مجالات فلسفته ومنهجه في تأويل تلك المجالات، وهي عوامل أحيانا متناقضة ومتداخلة، لكنه حاول أن يبني على أساسها فلسفته التأويلية الخاصة.**

1. **2- فلسفته:**

إن الطابع المركب لمرجعية دلتاي الفلسفية ساعدته على الاهتمام بمجالات كثيرة في الفلسفة يمكن أن نشير إلى أهمها:

1. **مفهوم الهرمينوطيقا الفلسفية ومبادئ التأويل:**

عني دلتاي بالهرمينوطيقا الفلسفية من خلال اهتمامه بالهرمينوطيقا الرومانسية الألمانية، لاسيما هرمينوطيقا شلايرماخر،  ومن خلال تأثره بالمدرسة التاريخية، لكن ما أخذه دلتاي عن الرومانسية هو أنها لم تربط مفهومها العميق للإنسان بالنظرة العلمية للطبيعة. ولعل تأثره بالنزعة التجريبية هو الذي جعله يحاول إدراج صفة الموضوعية العلمية في تأويل التجربة الإنسانية، كما اهتم بدراسة تطور مفهوم الهرمينوطيقا في كتابه" تطور الهرمينوطيقا الفلسفية "، ويكمن جهده في هذا المجال في توسيع الهرمينوطيقا من مجال النصوص إلى مجال الأفعال الإنسانية والى مجال تجربة الحياة الإنسانية بأكملها، فالهرمينوطيقا الفلسفية هي فهم التجربة الانسانية المعيشه وتأويل لتعبيراتها المختلفة.

تتصف الفلسفة أو الهرمينوطيقا عند دلتاي بأنها علم روحي كلي تاريخي وتأويلي وحيوي: فهي علم روحي كلي، لأنه يرى فيها دائما الاتجاه نفسه نحو الكلية، وتاريخي لأنه ينظر لها في تطورها التاريخي كتعبير عن تجارب في الحياة، وهي تأويلية وحيوية لأنها تفهم الحياة من خلال تأويل آثارها وتعبيراتها ويشرح لنا الأستاذ عادل مصطفى المفاهيم الأساسية التي يستخدمها دلتاي في فلسفته التأويلية فيما يلي:

1. مفهوم التجربة المعيشة: Erlebnis:

مفهوم التجربة المعيشة عند دلتاي يختلف عن مفهوم التجربة العلمي، لأن التجربة المقصودة هي التجربة الإنسانية، المتصلة بالحياة المباشرة الحية، ولذلك نستطيع أن نسميها الخبرة المعيشة المباشرة، وهي تجربة سيكولوجية وفردية، ولذلك بحسب غادامير " طموح دلتاي كان منذ البداية هو فصل العلاقات المؤثرة في العالم الروحي عن العلاقات السببية التي تجري في سياق الطبيعة، ولتحقيق ذلك الفصل استخدم تصور البنية structure لفصل التجربة المعيشة عن السياقات السببية الخاصة بما ينتج في الطبيعة".

والتجربة المعيشة هي أساس كل معرفة يمكن أن يحصل عليها الإنسان، وهي مفهوم مشترك بين الأفراد، باعتبار أن لهم نفس الطبيعة البشرية ، الأمر الذي يجعل تلك التجربة قابلة للفهم و النقل، ولكن باعتبار أنها تجربة فردية وسيكولوجية وذاتية داخلية، كيف يتسنى لنا فهمها أو نقلها إلى الآخرين ؟

1. التعبير: Ausdruck

تعبر التجربة المعيشة عن نفسها في أشكال من التعبير أبرزها اللغة، ومثلما يعبر اصفرار الوجه عن المرض، واخضرار أوراق الشجر عن الربيع، فكذلك تعبر اللغة عن أفكارنا وتجربتنا الحية الداخلية، بل يعتقد دلتاي أن مهمة الهرمينوطيقا أوسع وهي فهم كل تعبيرات الحياة الفردية المعيشة ورموزها حيث يميز بين ثلاثة أنواع من التعبيرات هي:

* التعبيرات الاصطلاحية التي تدل على المفاهيم العليا الدقيقة، والأحكام الناتجة عنها والأنظمة العقلية والفلسفية والعلمية الشاملة، وتتصف بالطابع المنطقي والعقلاني.
* تعبيرات الأفعال و هي الآثار التي تدل على الأفعال وأغراضها، مثل دلالة الآثار التاريخية عن الأحداث التاريخية.
* التعبيرات العاطفية أو الانفعالية وهي تعبيرات طبيعية حسية وحركية ومعنوية، مثل تعبيرات الخوف والمرض والحزن والفرح.

وهذه التعبيرات عند دلتاي ليست مجرد تعبيرات ذاتية بل هي تعبير عن الحياة البشرية، التعبير إذن هو مجرد رمز للشعور والتفكير، بل لكل ما هو داخلي. فهو العلامة الدالة على الباطن الذي يشتمل الأفكار والعواطف والمقاصد والنيات.

1. الفهم: verstandnis

هذه التعبيرات إذن هي الوسائط التي من خلالها نفهم التجربة الإنسانية المعيشة، ولذا يحتاج الفهم هنا إلى تأويل لتلك التعبيرات، وعندما يصبح الفهم تأويلا فإنه يتخذ طابعا ابستيمولوجيا يقوم على تحليل وتفسير دلالات التعبيرات المختلفة، ويؤدي إلى الفهم وهو المصطلح الذي نطلقه على العملية التي تصبح بها الحياة العقلية معروفة من خلال تعبيراتها المعطاة للحواس. فهو ينطلق من التعبيرات والآثار والوثائق إلى ما تنطوي عليه من حياة عقلية داخلية كامنة. و الشيء الهام هنا أن أمر هذه التعبيرات لا يتعلق فقط بلغة النصوص الأدبية والفلسفية والدينية، بل تشمل كل تعبيرات الحياة الممكنة ورموزها التي يمكن أن يمتد إليها الفهم.

غير أن دلتاي إذا كان يعطي للفهم طابعا ابستمولوجيا موضوعيا هو تأويل التعبيرات الدالة على الأفكار، فإنه يجعله في صالح غرض نفسي وهو الإمساك بمقصد الكاتب أو مقصد الفاعل، من هنا يأخذ الفهم طابعا نفسيا، لأن " الفهم ليس هو التفسير ولا هو وظيفة عقلية بل يتم بكل القوى الانفعالية للنفس، وهذا يظهر طابعه النفسي عند دلتاي " وبما أنه نفسي فهو يستدعي انتقال الباحث إلى تجربة الكاتب أو الفاعل ومحاولة تمثلها أو معايشتها، وهذا ما يسمى عند دلتاي بالتقمص أو التعاطف مع ذات أخرى intropathie ، ونلاحظ هنا أن دلتاي يتبع شلايرماخر الذي يقول بامكانية استبطان ذاتية الكاتب للكشف عن فردانيته وخصائصه الابداعية، وهذا ما يفسر إعطاءه لعلم النفس الأولوية في دراسة علوم الروح مثلما أن للرياضيات الأولوية في دراسة العلوم الطبيعية.

وأخيرا فإن تصور دلتاي لفهم الخبرة المعيشة " يعبر عن عالم سيكولوجي فردي تأخذ فيه العلاقات بين الكل والأجزاء شكل علاقات جدلية، حيث فهم الكل يتوقف على فهم الأجزاء والعكس صحيح، وهذا ما يسمى في الهرمينوطيقا بحلقة الفهم أو الدائرة التأويلية." إن فهم معنى النص يتوقف على فهم كلماته وجمله وفقراته الجزئية، وبالعكس فهم هذه الأجزاء يتوقف على فهم المعنى العام أو الكلي للنص، وبما أن التأويل قد امتد عند دلتاي الى مختلف مظاهر التجربة المعيشة التي لا يمكن أن تكسب معناها إلا من خلال التجربة الكلية، وهي تجربة الحياة ذاتها التي تعد بعدا جديدا ومحوريا في فلسفة دلتاي.

1. **التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية:**

إذا كانت التجربة الانسانية المعيشة تتميز بأنها تجربة فردية وروحية ونفسية أساسا، فهل الأنموذج الابستمولوجي في دراستها أنموذج خاص بها أم أنه يعتمد على الأنموذج الابستمولوجي للعلوم الطبيعية ؟

العلوم الإنسانية تأخذ عند دلتاي مصطلحات أخرى هي العلوم التاريخية أو علوم الفكر أو الروح أو العلوم الثقافية، وهي التي تدرس التجربة الإنسانية المعيشة في كل أبعادها النفسية والتاريخية والفكرية والجمالية. وهو يرى أن "علوم الروح مجالها يمتد قدر ما يمتد الفهم، كما أن الفهم يجد موضوعه في موضعة الحياة بهذا النحو، فإن مفهوم علوم الروح وبفضل مجال الظواهر التي تدخل تحت طائلته، إنما يتحدد بموضعة العالم الخارجي، إن الروح لا يفهم إلا ما قد خلق، إن كل ما وسمه الإنسان الفاعل بميسمه يشكل موضوعا لعلوم الروح".

إن الأساس الذي استند إليه دلتاي في محاولته للتمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية هو اعتقاده أن الحقائق الإنسانية لا يفهمها إلا الإنسان في حين أن الحوادث الطبيعية ليست قابلة للفهم بل التفسير، إنه في استطاعتنا أن نفهم لماذا يبكي إنسان مثلنا، ولكن لا نستطيع أن نفهم لماذا يتدحرج حجر من مكانه.

إذن˸ " نحن نفسر الطبيعة، أما الإنسان فعلينا فهمه ". ويترتب على ذلك أن حقل العلوم الطبيعية هو مجال الموضوعات المادية المعطاة للملاحظة العلمية والخاضعة للتكميم الرياضي منذ غاليلي ولمقاييس المنطق الاستقرائي لجون ستيوارت ميل، والتي تتطلب التفسير، أما حقل العلوم الإنسانية هو مجال الأفعال الإنسانية القصدية، حيث تتمكن كل ذات من تأويل آثارها والانتقال إلى فاعلها وإدراك قصده منها، و بالتالي فهمها.

1. **أثره في الفلسفة المعاصرة:**

كانت فلسفة دلتاي محل تأثير واسع على فلاسفة القرن العشرين، لاسيما هيدغر Heiddeger غادامير وريكور، فقد أخذ هيدغر عن دلتاي فكرة واقعانية facticité التجربة المعيشة، ومن ثم ربط الدازين أو الوجود الفردي بالعالم وأضفى عليه مفهوم الواقعانية، كما أخذ عنه فكرة التاريخانية Historicitéحيث التجربة الإنسانية لها تاريخها وظروفها الخاصة، وبالتالي فهي نسبية، وقد استخلص هيدغر أيضا من هذا أهمية الزمن في التأثير على الوجود الانساني. أما غادامير فإنه يقدر لدلتاي إدراج مفهوم الوعي التاريخي في التأثير على التجربة الانسانية، كما يقدر نزعته التأويلية، لكنه على غرار هيدجر ينكر عليه محاولته إخضاع التجربة المعيشة للموضوعية التي استمدها من العلوم الطبيعية من خلال تأويل آثارها وتعبيراتها، حيث نجد جادامير يؤكد أنه على الرغم من العمل الشاق الذي خصصه دلتاي طيلة عقود من الزمن لوضع أسس للعلوم الإنسانية، فإنه قد ترك نفسه تحت وطأة التأثير العميق لنموذج العلوم الطبيعية، حتى عندما يسوغ بدقة الاستقلالية الأبستمولوجية للعلوم الإنسانية، فإن ما يسمى منهجا في تصور العلم الحديث بقي هو هو.

إذن، فغادامير ينكر على دلتاي رغبته في تأسيس منهج خاص بالعلوم الانسانية، رغم أنه بقي متأثرا بمفاهيم العلوم الطبيعية، وعندما يدعو بالنسبة له الى ضرورة تخلي الباحث عن ميوله وأحكامه المسبقة في الحكم على الأحداث التاريخية، فهو هنا يجعل المؤرخ غريبا عن موضوعه التاريخي الإنساني: إن المنهج العلمي حين يطالب المؤرخ بالتخلص من كل ما يشكل أفق تجربته الراهنة من أهواء أو نوازغ، لا يفعل أكثر من أن يترك هذه الأهواء تمارس عملها في الخفاء، إن المنهج يجعلنا في حالة غربة عن الظاهرة التاريخية التي ندرسها.

وأخيرا، فإن بول ريكور يثمن عاليا لجوء دلتاي الى تأويل التعبيرات المختلفة من أجل فهم التجربة المعيشة، حيث التجربة الانسانية لا يمكن فهمها إلا بطريقة غير مباشرة من خلال وساطة التعبيرات، لكن ريكور يرفض مثل كثير من النقاد لفلسفة دلتاي نزعته الذاتية التي تجعل الكاتب يفهم مقصد الكاتب أو الفاعل أكثر مما يفهم نفسه، فهذا النوع من التقمص لذات أخرى يبقى مسعى ذاتيا لا يمكن التحقق منه، كما أن وضع علم النفس كأساس لفهم الحياة الإنسانية بأكملها غير ممكن، ومن جهة أخرى **"** إن فلاسفة التأويل الكلاسيكيين، عندما يفصلون بين الفهم والتفسير، إنما يعملون على تقسيم الوجود وتقسيم المعرفة إلى شطرين، مما يفقد التأويلية شموليتها وانسجامها بخضوع جزء من الواقع والمعرفة إلى الهيرومينوطيقا وجزء أخر من الواقع والمعرفة إلى الإبستمولوجية واعتبارها مشروعين مختلفين من المعقولية "وهذا يعني أن ريكور يرفض التمييز المطلق الذي يقيمه دلتاي بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.